اثار دخول أحمد الشريف الحرب العالمية الأولى بجانب الدولة العثمانية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في برقة

أكرم عثمان عبدالرازق

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة طبرق

تاريخ الاستلام 2023/02/07م

الملخص:

يتناول هذا الموضوع تأثيرات الحرب العالمية الأولى على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في برقة بعد دخول الدولة العثمانية الحرب واشتراك أحمد الشريف السنوسي في محاربة القوات البريطانية على حدود مصر الغربية وما ترتب على ذلك من سوء الأوضاع في الإقليم الذي كان يعاني اصلا من الفقر والمجاعات بسبب الاحتلال الإيطالي والجفاف .

وزدات الحرب العالمية الأولى من تأثيرتها الاجتماعية وادت إلى نزوح وهجرة كثير من السكان فضلا عن سوء الأوضاع الصحية التي زادت مع انتقال الأمراض للجنود والضباط الليبيين المشاركين في الجيش العثماني وفي حملة أحمد الشريف ضد الإنجليز

وكان لذلك تأثيرات أخرى على الضباط الليبيين الذين اسرو من قبل القوات البريطانية وما شهدوه من ظروف أدت في النهاية الي تخلي البعض عن مناصرة الدولة العثمانية والحرب الي جانب الحلفاء

وتكمن أهمية الموضوع والهدف من دراسته إلى توضيح هذه التأثيرات التي أصبح يعاني منها إقليم وسكان برقة بعد دخول أحمد الشريف السنوسي الحرب بجانب الدولة العثمانية ضد الحلفاء لاسيما الآثار الاقتصادية والاجتماعية

الكلمات المفتاحية:

الحرب العالمية الأولى _ الآثار الاقتصادية _ الآثار الاجتماعية _ تاثيرات الحرب

المقدمة :

عند قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م كانت ليبيا تحت النفوذ الإيطالي. وعندما دخلت الدولة العثمانية وايطاليا الحرب العالمية وكل منهما في معسكر معادي للآخر فإن ذلك أدى بضرورة إلى استئناف الصراع بينهما في ليبيا، بعد أن كان توقف بمقتضى معاهدة أوشي عام 1912م و انحازت النمسا والمانيا إلى الدولة العثمانية، كما ساندت فرنسا وبريطانيا حليفتهما إيطاليا، وبذلك أخذت الحرب في ليبيا منحى جديد، وخرجت عن محيطها المحدود. وتركت تلك الحرب تأثيرات على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بليبيا.

والهدف الأساسي لهذا البحث هو الحصول على فهم أفضل لأثر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الحرب العالمية الأولى. وتنبع أهمية هذا البحث من أنها تتناول مرحلة مهمة من تاريخ ليبيا الحديث إذ تساهم في التعرف على الأضرار والتغيرات التي لحقت بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية خلال فترة الاحتلال الإيطالي. كما يعد هذا البحث استكمالاً لجهود الباحثين والمهتمين والدراسات السابقة ذات الصلة التي ركزت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية أكثر من الأوضاع السياسية.

كما أنه يحاول الإجابة عن بعض الأسئلة المهمة والتي تتمثل في: كيف كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية في برقة عند نشوب الحرب؟ وماهي حقيقة الأوضاع الاقتصادية بعد دخول أحمد الشريف للحرب؟ وكيف زادت هذه الحرب من سوء الأحوال والأوضاع الاجتماعية؟وماهي تأثيرات الحرب على السكان؟وهل كانت سببا في الهجرة؟ وماهي أبرز تأثيراتها على الجنود والضباط الليبيين المشاركين في الجيش العثماني؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها في ثنايا البحث وذلك وفقاً للمحاور التالية:

أولاً: التأثير على الأوضاع الاقتصادية في إقليم برقة

ثانياً: التأثير على الأوضاع الاقتصادية في إقليم برقة

ثالثًا: التأثيرات على الجنود والضباط الليبيين

المشاركين في الجيش العثماني نوري الكويري

نموذجا

<u>أولاً: التأثير على الأوضاع الاقتصادية في إقليم برقة:</u>

بداية يجب الإشارة إلى تأثيرات الحرب العالمية الأولى على الأوضاع الاقتصادية من خلال الأوضاع السياسية العسكرية وسنوات الجدب والمجاعات التي تعرضت لها برقة خلال الحرب العالمية الأولى ناهيك عن التأثيرات والآثار السلبية على جوانب الديمغرافية والاقتصادية بشكل مباشر، واستطاعت بتواليها أن تخلق أرضية لظهور الأوبئة الفتاكة والأمراض المستعصية. وكذلك ما خلفته فشل حملة أحمد الشريف على الانجليز في مصر 1916م على الجوانب الاقتصادية ببرقة.

في شهر اغسطس عام 1914م حينما اندلعت الحرب العالمية الأولى على أثر عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية دولية فإنها أثرت على سير الأحداث السياسية والاقتصادية في ليبيا؛ لأن الدولة العثمانية بما لها من تأثير على الداخل الليبي انحازت إلى دول المحور، وانضمت إيطاليا التي تحتل ليبيا في ذلك الوقت إلى دول الحلفاء .[1]

وفي عام 1915م قامت كل من ألمانيا وتركيا باستغلال نفوذ "أحمد الشريف" في برقة وحركة الجهاد القائمة لإحداث ثورة على الحدود المصرية الغربية ضد الإنجليز، وذلك على الرغم من أن أحمد الشريف أدرك أن أي تحرك ضد الإنجليز من الممكن أن يؤدى إلى إقفال الحدود مع مصر وقطع جميع المساعدات الغذائية على المجاهدين والسكان في برقة، وهو أمر تجنبه أحمد الشريف منذ البداية بإقامة علاقات حسنه مع الإنجليز.[2]

ولكن سرعنا ما تغير موقفه بعد أن أكدت الدولة العثمانية أنها سترسل كل المساعدات العسكرية والتموينية اللازمة لحملته ضد الإنجليز، ولكي تضمن الدولة العثمانية ولاء "أحمد الشريف" منحته لقب "نائب السلطان العثماني في أفريقيا" .[3]

وفي أثناء تلك الظروف كان العامل الاقتصادي المتمثل في الدعم العثماني الألماني مهم في تغيير سياسة "أحمد الشريف" تجاه الإنجليز؛ إذ كان بعض الضباط الأتراك والألمان يرسون بغواصاتهم بميناءي (البردي ورأس عزاز) القربين من الحدود الليبية المصرية؛ حاملين معهم المال والسلاح والمؤن للمجاهدين في برقة حتى يكونوا تحت سيطرتهم ونفوذهم، وقد ساعدهم على ذلك اعتماد ليبيا كلياً على الدولة العثمانية في امدادها بالمؤن، وحدث أن ركبه على متن إحدى تلك

الغواصات نوري شقيق أنور باشا وجعفر العسكري[4]. وكلما زادت الأحوال الاقتصادية سوءً؛ كل ما زاد اعتماد "أحمد الشريف" على الأتراك .[5]

وفي ظل تلك الأوضاع كان على المجاهدين الليبيين أن يخوضوا حرباً ليس ضد الإيطاليين فحسب بل والكوارث الطبيعية التي حلت ببرقة أيضاً، التي كانت تعاني من انتشار المجاعة في عام 1915م بسبب انحباس الأمطار فعاشت فترة مجاعة وبؤس اشتدت على الأهالي، وتفشت عدة أمراض .[6]

وفي 11/ 12/ 1915م سيطر "أحمد الشريف" على منطقتي السلوم ومرسى مطروح، فلما نفذت مؤونه، شرع الإنجليز في الضغط عليه واستردوا منطقة مرسى مطروح. وفي 29 فبراير 1916 انهزم أحمد الشريف واحتل الإنجليز منطقة سيدي براني ثم استردوا، منطقة السلوم في 1916/3/14م. وقبيل تلك الهزيمة كانوا اتباع "أحمد الشريف" يراقبون السواحل باستمرار مؤملين أن ترى الغواصات الألمانية إشاراتهم بالرايات في النهار أو بنيرانهم التي كانوا يشغلونها بالليل، وتركزت آمالهم أن تمدهم الغواصات بشيء من السلاح والأموال والمؤن، ولكن دون جدوى .[7]

وأثرت تلك الهزيمة في العلاقات الروحية التي كانت تربط "أحمد الشريف" بالقبائل المصرية إذ اهتزت وتزعزعت؛ لأن الجيش الإنجليز كان يضم عدد من أبناء تلك القبائل في صفوفه. وقد أدى ذلك إلى انقطاع التبرعات المالية التي كانت تقدمها تلك القبائل لصالح القضية الليبية، وقد تضررت كثير من الزوايا السنوسية بمصر فتحطم نفوذها السياسي والديني، كما اشعرت هذه الحملة المجاهدين بندم لاسيما بعدما احدثت خلل في الوضع السياسي .[8]

أن أهم التأثيرات التي افرزتها تلك الهزيمة التي تعرضت لها حملة "أحمد الشريف"؛ إقفال الحدود الليبية المصرية في وجه البرقاويين من قبل الإنجليز، التي تعد المصدر الوحيد الذي كان يعتمد عليه سكان برقة في إدخال المؤن والمساعدات؛ حيث عانت برقة من نقص شديد في الحصول على لقمة العيش.[9]

وما زاد الأمور تعقيداً وصعوبة؛ استمرار الجفاف في ذلك العام حتى نهاية عام 1916م إذ بلغ خلالها الغلاء مبلغه. وما ازد الأحوال الاقتصادية بؤسا وسواءً خلال العام المذكور هجوم الجراد الذي قضى على ما تبقى من المزروعات، فتعرض الكثير للموت من جراء أكل أطعمه غير صحية. وفي ظل تلك الظروف كانت الجيوش الإيطالية تمثل ضغطاً كبيراً على الأهالي وعلى قوات المجاهدين التي كان عليها في الوقت نفسه أن تتصدى لعدو أشد فتكاً من سلاح الإيطاليين، ألا وهو الطاعون والحصبة والتيفود والجفاف والجراد .[10]

وكان من نتائج هزيمة حملة "أحمد الشريف" على البلاد؛ إغلاق الأسوق المصرية في وجه المجاهدين وأهالي برقة، وشحت البضائع وتوقفت الحركة التجارية، وتضرر التجار والأهالي، في ظل توقف الحركة البحرية لموانئ برقة، وأصبح ذلك كابوس يؤرق راحة البلاد[11]. ناهيك عن توقف حركة الجهاد في برقة فترة طويلة، مما أهدر إمكانيات المجاهدين الاقتصادية .[12]

والجدير بالذكر أن السيد أحمد الشريف تنازل عن الزعامة لابن عمه إدريس السنوسي الذي أصبح يدير دفة الحكم في برقة ودفنة وسرت الشرقية بضغط من القبائل التي اعتبرته زعيماً سياسياً ودينياً - وحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذ برقة؛ وفي هذا السياق قرر السيد إدريس السنوسي مهادنة إيطاليا والاعتراف بالوجود الإيطالي بالبلاد التي كانت تعاني من سوء الأحوال الاقتصادية،

ولو بصفة مؤقتة كعالج سريع لمشاكل برقة الاقتصادية، وكانت بداية الاتفاقيات التمهيدية، إذ أنه في 31 يوليو 1916 بدأت المفاوضات بين السنوسية وبين إيطاليا والإنجليز، وكان محمد الشريف السنوسي يؤدي دور الوساطة بين الطرفين وتم الاجتماع في منطقة الزويتينية على شاطئ خليج سرت قرب اجدابية.[13]

كما تضررت برقة من انتشار المجاعة والبؤس الشديد في عام 1917م بسبب انحباس الأمطار وموجات الجدب والقحط، ومهاجمة وباء الطاعون الذي على إثره أصبحت الشوارع البرقاوية ممتلئة بالجثث الهامدة، وفي ظل انتشار تلك المجاعة الكارثية التي تسببت في موت الكثير من السكان برقة، وكذلك يُروى أن الأوبئة مثل وباء الطاعون انتشر بسبب الجثث الملقاة في شوارع المناطق لاسيما إجدابيا بسبب تلك المجاعة) .[14]

ولما عانت برقة بشدة من جراء انحباس المطر وانتشار المجاعة وغلق الحدود، إذ مات الكثير من الأهالي في المدن والنجوع بسبب تلك الأوضاع المتردية، كما مات الكثير من المجاهدين الليبيين الذين اشتركوا في حملة "أحمد الشريف" ضد الإنجليز بسبب سوء التغذية، وانتشار مرض الملاريا بينهم، هذا بالإضافة إلى موت الكثير من الدواب، فعندما هزم أحمد الشريف أمام القوات الإنجليزية خلال شهر فبراير عام 1917م كما ذكرنا، كانت برقة تمر بأصعب مراحل تاريخها؛ حيث كانت تعاني من صعوبات اقتصادية جمة انهكتها لأقصى الحدود.[15]

ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية؛ دب الخلاف بين القوات العثمانية والقوات السنوسية في برقة، وذلك عندما أصبحت المفاوضات مع الإنجليز ضرورة حيوية للسنوسيين. كما أصبح عدم

التطرف والاكتفاء بالحل الوسط هدفاً تحتمه الظروف الاقتصادية القائمة حتى تكفل الاستقرار بفتح الطريق مع مصر، والقضاء على شبح المجاعة .[16]

عمت الاحتجاج أوساط الشعب على سياسة المهادنة للإنجليز والطليان التي ينتهجها السنوسيين وذلك طبقاً لمباحثات الزويتينة التي انبثقت عنها (هدنة عكرمة) التي عقدت عام 1917م ونصت على رغبة الفريقين في إيقاف القتال، ولتحقيق ذلك وضعت شروطها موضع التنفيذ، وتلك الشروط كانت مقيّدة للسنوسيين مع سماح إيطاليا بتناول التجارة بين الداخل وثلاث من الموانئ الليبية مثل طبرق ودرنة بنغازي مؤقتاً، التي شهدت ركود لا مثيل له إبان الحرب العالمية الأولى .[17]

وفي ظل تلك الظروف؛ كانت القوافل التجارية والتجار المصريين يصلون إلى مناطق برقة عن طريق التسلل عبر الحدود الليبية المصرية؛ لبيع بضائعهم ونقل الأخبار من المجاهدين إلى المناطق الأخرى، غير أن السلطات الإيطالية ضايقتهم بل وصل بهم الأمر إلى حد قتل أحد التجار المصريين على الرغم من أنه قدم إليهم أوراقه الثبوتية، التي لم يعرها الايطاليون انتباهاً[18]. وهي بحق جريمة نكراء ضد شخص أعزل من السلاح ارتكبتها الأيدي الإيطالية، لا لشيء إلا أنه أراد إيصال بعض المواد الغذائية، ومواد أخرى يحتاجها البرقاويين عن طريق بيعها لأنهم في أمس الحاجة إليها.

ثانياً : التأثير على الأوضاع الاجتماعية في برقة:

لقد كان تردي الوضع الاقتصادي عاملاً رئيسياً في بروز ظاهرة الهجرة والنزوح، ناهيك عن تعرض الشعب الليبي خلال فترة الاحتلال الإيطالي وأثناء الحرب العالمية الأولى إلى ضغوط عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية ودينية أدت إلى هجرة الكثير من الليبيين إلى الأقطار

المجاورة: كتونس والجزائر ومصر وتشاد والنيجر والسودان وغيرها من الأقطار الأخرى مثل سوريا وتركيا. غير أن عملية الهجرة إلى تلك الدول لم تحدث في فترة زمنية واحدة وإنما حدثت على فترات متباينة ولكنها ليست متباعدة ولا يمكن أن نضع تواريخ محددة توضح لنا بصفة قاطعة حوادث هجرة الليبيين إلى الأقطار المجاورة بل سيتم توضيح بعض التواريخ التي لها علامة بارزة في مجريات الأمور العسكرية والسياسية على الساحة الليبية .[19]

فمثلاً يحدد بعض المؤرخين الفترة الأولى لهجرة الليبيين من عام 1911م وحتى عام 1916م وفي هذه الفترة حدثت عدة وقائع لها أثر مباشر في تلك الهجرة، منها على سبيل المثال الانتصارات التي حققها المجاهدون على الغزاة الإيطاليين، نتيجة لسحب الإيطاليين أعداد كبيرة من قواتهم للمشاركة في الحرب العالمية الأولى بأوروبا؛ ما جعلت أولئك الغزاة الإيطاليين يصدرون نداءاتهم وبياناتهم التحذيرية للمواطنين الليبيين ويشددون من حصارهم للمناطق الساحلية في عدة معارك خاضوها في كل من طرابلس وبنغازي ومصراته ودرنة وطبرق وزليطن والخمس. وهو ما أدى إلى نزوح أعداد كبير من الليبيين، من قيادات ووجهاء وأعيان ومحاربين وشرائح عريضة من مختلف الفئات .[20]

ناهيك عن هجرة عدد آخر إلى مصر في عام 1916م، وعدد آخر منهم خرج خلال عامي 1817-1918م نتيجة للجفاف والحصار الاقتصادي الذي فرضته إيطاليا.[21]

ومن بين الأسباب الأخرى التي أدت إلى الهجرة هي سوء الظروف المعيشية والجفاف من جهة أخرى، وما ترتب عليه من انتشار أمراض فتاكة كالجدري والبلهارسيا والطاعون الذي كان أخطرها في عام 1913م والذي كان أحد أسبابها قدوم جنود من الحبشة إلى ليبيا حاملين معهم

تلك الأوبئة في بداية الغزو الإيطالي، ونقص الوعي الصحي وانعدام الرعاية الصحية، والجهل بأسباب المرض وانتقاله.

ان وجود الجاليات الليبية في أكثر من بلد في كل من أفريقيا وأسيا يعتبر أكبر دليل على مدى نزوح السكان بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة وما كانت عليها من ظروف صعبة أثناء فترة الاحتلال الإيطالي، فالهجرة الجماعية لليبيين لاقت استحساناً من السلطات الاستعمارية الإيطالية؛ وهذا ما أدلى به العميد بادوليو عندما قرر عدم البحث عن إيجاد طريقة لعودة اللاجئين وقال أن ضياعهم إلى الأبد أفضل لنا.[22]

أما عملية النفى؛ فقد كان هناك ارتباط وثيق بين حملات الابعاد والنفي والهزائم الكبرى التي لحقت بقوات الاحتلال الإيطالي، التي نفت مجموعة كبيرة من السكان بعد هزيمتها في معركة القرضابية عام 1915م حيث تم نفى حوالي (1564) ألف وخمسمائة وأربعة وستين شخصاً وفي عام 1917م تم نفى حوالي (346) ثلاثمائة وستة وأربعون شخصاً، وفي عام 1918م تم نفى قرابة 48 ثمانية وأربعون شخص، وزعوا على أكثر من (26) ست وعشرين سجناً تركز أغلبهم في المناطق الجنوبية من إيطاليا[23]. وقد تم استغلال هؤلاء المنفيين في العمل بالمصانع الإيطالية وخاصة مصانع الذخيرة والأسلحة حتى أن البعض منهم ولعدم خبرتهم أصيبت أجسادهم بتشوهات من جراء اشتغالهم في الاماكن الخطيرة .[24]

هذا وقد مات عدد كبير جداً من هؤلاء المنفيين نتيجة للظروف السيئة التي عاشوها في السجون الإيطالية والاعمال الشاقة التي مارسوها. حيث ذكر روماين أحد الكتاب الإيطاليين أنه في الفترة من عام 1915 – 1916م كان معدل الوفيات عالياً وبالنسبة إلى بعضها يصعب التسليم

بأنها كانت بسبب الجو أو عدم التأقلم مع البيئة، فمثلاً مات شاب من مدينة درنة وعمره (35) سنة كان محكوماً عليه بثلاث سنوات سجن من قبل المحكمة العسكرية في درنة بتاريخ 18 يونيو 1915م لوجود ذخيرة في حوزته، ووصل إلى فانيانا إحدى الجزر الإيطالية في 30 يناير 1916م، وقد مات بعد مضى شهرين من وصوله أي في 30 مارس 1916م.[25]

هذا ومما تجدر إليه الإشارة أنه مع قيام الحرب العالمية الأولى واشتراك إيطاليا فيها أخذت مجموعة من الشباب الليبي من مدرسة الفنون والصنائع وأعداد أخرى من خارج المدرسة وأرسلتهم إلى إيطاليا ووزعتهم على بعض المصانع في المدن الإيطالية لشحن الأسلحة والذخائر إلى خارج إيطاليا، وقد بلغ عددهم ما يقارب عن (1000) ألف شخص.[26]

وذكر جان دبوا أن تعداد سكان إقليم طرابلس لوحده حسب الاحصاء التقريبي الذي أجرى عام 1915م بلغ حوالي (569093) خمسمائة وتسعة وستين ألفاً وثلاث وتسعين نسمة، وذكر أيضاً أن إحصاء آخر أجرى عام 1931م وقال بأنه أدق من الأول، وبلغ فيه تعداد سكان المنطقة حوالي (522.914) خمسمائة واثنان وعشرين ألفاً وتسعمائة وأربعة عشر ساكناً .[27]

أما إقليم برقة، واستناداً إلى إحصاء عام 1911م، والذي أجرته السلطات التركية، والذي أشار إلى أن تعداد سكان برقة بما فيها الكفرة (198.300) بلغ مائة وثمانية وتسعون ألفاً نسمة، و(200.000) ومائتى نسمة حتى عام 1921م، حسب ما جاء إحدى الإحصائيات الإيطالية، وفي الفترة ما بين عامي 1922-1923م وصل سكان برقة إلى (185.000) مائة وخمسة وثمانون ألف نسمة، وارتفع هذا الرقم إلى (225.000) مائتين وخمسة وعشرين ألف نسمة في عام 1928م، إلا

أن إحصاء عام 1931م والذي يعتبر أول إحصاء رسمي يتم بالوسائل والطرق الحديثة أوضح أن تعداد سكان برقة قد انخفض إلى (142.000) مائة واثنان وأربعين ألفاً .[28]

وقد تمَّ تناقص السكان في ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى عن طريقين أساسيين: زيادة الوفيات، والهجرة الخارجية. وقد حدثت الأولى بطريقتين مباشرة وغير مباشرة. فعوامل الموت المباشرة في ميدان القتال وعمليات الإبادة المقنَّنة بين المدنيين حصدت عشرات الألوف .[29]

أما العوامل غير المباشرة فتتمثل فيما تعَّرض له معظم السكان من ظروف بالغة القسوة في الحياة، والتشريد الذي فرضته الحرب العالمية الأولى، سواء في الجبل أو في الصحراء، فقد طرد مئات الآلاف بالجملة وقذف بهم خارج مناطقهم وخارج نطاق أماكن رزقهم إذا اتبع حتى هناك سياسة سدَّ الآبار، فكانت القطعان تهلك بالجملة جفافاً وعطشاً، على حين تتفشَّى الأوبئة بين القبائل وتحصدهم بالآلاف .[30]

وقد ظهرت بليبيا خلال فترات الحرب العالمية الأولى ظاهرة الهجرة الداخلية بين القبائل من أوطانها وارضيها، بسبب الحرب مباشرة أو بسبب المشكلات التي نتجه عن الحرب مثل الحصار والفقر والجوع والخوف والمرض، فقد أدى كل ذلك إلى هجرة داخلية حيث ترك كثير من السكان في إقليم طرابلس ارضهم واتجهوا نحو الجبل الغربي ومناطق أحرى من أجل البحث عن الامان .[31]

كما أن عملية الهجرة لم تتم في وقت واحد وبصفة جماعية وفي ظروف واحدة وكذلك اختلفت المصادر والدراسات السابقة حول العدد الإجمالي للمهاجرين الليبيين إلى الدول المجاورة، هذا ما أوضحه الطاهر الزاوي، حيث أشار إلى أن من هاجر إلى مصر لا يقل عددهم عن 14 ألفاً، في حين أن من هاجروا إلى تونس يصل عددهم إلى 20 ألفاً .[32]

بينما أشار حسن خشيم إلى أن تعداد الليبيين الذين هاجروا بسبب الاستعمار الإيطالي إلى مصر كان 100 ألف، وإلى تركيا 10 آلاف، وإلى الشام أيضاً 10 آلاف، وإلى تونس 20 ألفاً[33]، فيما ذكر محمود الشنيطي أن عدد المهاجرين الليبيين يقدر بنحو 200 ألف مهاجر[34]، وهوما أثر بالتالي في الحياة بشكل عام سواء في المدينة أو البادية والريف. وهذا يتفق مع ما ذكره شكيب أرسلان في إحدى مقالاته حول الهجرة، بأن 175 ألف مواطن ليبي منهم 60 ألف مهاجر إلى تونس و 15 ألف مهاجر إلى الجزائر، أما عون سوف فقد أشار إلى أن عدد المهاجرين الليبيين الذين توجهوا للأقطار العربية كان حوالي 100 ألف نسمة.[35]

وقد طالت تأثيرات الحرب العالمية الأولى لليبيين في المهجر لاسيما زعماء الحركة الوطنية، الذين هاجروا قبل الحرب واضطروا للعودة للوطن مرة أخرى بعد قيام الحرب العالمية الأولى .[36]

والجدير بالذكر أن المهاجرين الليبيين الذين هاجروا إلى الأقاليم التي حكمتها الدولة العثمانية في بداية الحرب العالمية الأولى مثل الحجاز وبلاد الشام باستثناء سوريا التي بقيت حتى نهاية الحرب خاضعة لسلطة العثمانية، وسنجد أن هؤلاء المهاجرين اضطروا للهجرة مرة أخرى وترك تلك الأقاليم بعد سيطر الحلفاء عليها، فمثلاً هاجرت العائلات الليبية التي كانت قد استقرت بالحجاز نتيجة لظروف الحرب أعوام 1914 – 1918م إلى دمشق مع كثير من الأتراك الذين انسحبوا إلى بلاد الشام.[37]

ثالثاً: التأثيرات على الجنود والضباط الليبيين المشاركين في الجيش العثماني حسين نوري الكويري نموذجا :

كان حسين نوري الكويري برتبة رائد في الجيش العثماني عندما اندلعت الحرب الإيطالية التركية واشترك في القتال تحت قيادة أحمد الشريف السنوسي ضد القوات الإيطالية في برقة وأستمر في الجهاد حتى عقد الصلح وتوقيع معاهدة أوشي لوزان[38]. وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م كان الكويري موفد من قبل أحمد الشريف في اسطنبول واصدرت وزارة الحربية امر له بتوجه الي بنغازي كا معاون قائد الجيوش العربية الموجودة هناك .[39]

وفي 20اغسطس عام 1915م أصدرت المحكمة الحربية الإيطالية الحكم غيابيا بالإعدام على حسين الكويري وبمصادرة املاكة بسبب اشتراكة في الحرب مع أحمد الشريف السنوسي في حرب الإنجليز[40].وقد تم ارسلة من قبل أحمد الشريف مرة أخرى إلى أسطنبول لبعض الأمور التي تتعلق به وفي أثناء إقامته بها صدر امر له من وزارة الحربية بالتوجة حالا مع الحملة الأولى التي هاجمت قناة السويس [41].وقد جرح وأسر هناك من قبل القوات البريطانية وأرسل إلى القاهرة للعلاج.[42]

وعندما قامت الثورة العربية الكبرى ضد الأتراك عام 1916م تطوع حسين الكويري في الخدمة للقتال في صفوف قوات الحجاز ضد الدولة العثمانية بلاد الشام[43].وكان ذلك بعد ظهور دعاة القومية التركية جماعة الاتحاد والترقي واستلامهم للحكم في الدولة واستبدادهم وطغيانهم واحتقارهم للعرب بعد المذابح التي ارتكبها العثمانيون من أجل محو القومية العربية والقضاء عليها .[44]

وقد استفزت حسين الكويري القوات الوطنية الموجودة في الحجاز حيث التحق بها للثورة ضد الأتراك وبناء على أومر من الشريف حسين التحق بقوات الامير علي لتحرير المدينة المنورة حيث

تمكن خلال فترة قصيرة من تشكيل فرقة من الجنود النظاميين قوامها 350جندي عربي تدربوا تدريبا عاليا وزودوا بالمعدات العسكرية المناسبة التي جعلتهم على قدر من المساواة مع قوات الحلفاء .وبعد أن تم تعيينه قائد لجيش الأمير علي المرابطة بجوار المدينة ظل هناك لمدة عامين حتى سلمت حامية المدينة للجيوش العربية .[45]

وقد جاء في تقريرمن الإقامة البريطانية بالقاهرة في 12أبريل عام 1919م بأن فعالية هذه القوات ترجع الي حد كبير الي حماسة واخلاصة وأنه الكويري يملك قدرة عسكرية عالية وكان له فضل كبير في فتح المدينة المنورة، وقد تلقى الكويري بعد ذلك دعوة من قبل الشريف حسين من أجل الحضور الي مكة حيث شكره الملك على ماقدمه من خدمات لقضية الحلفاء وطلب منه قبول منصب القيادة العسكرية لمكة المكرمة ولكنه اعتذر عن القبول مع التعبيرعن اسفه الشديد لانه يريد العودة الي القاهرة من أجل تسليم نفسه للحكومة البريطانية لكي تسمح له بالرجوع إلي بلاده .[46]

واكدت القنصلية الإيطالية بجدة في تقريرها الي وزارة الخارجية في روما على أن الكويري رفض أيضا التعاون مع الحكومة البريطانية والفرنسية كماذكرت انا الكويري رفض عرضا ممثل كان قد قدم له من قبل أشخاص مقربين من القيادة الإيطالية في بنغازي عندما كان يحارب ضد الحلفاء في ليبيا كاضابط في الجيش العثماني ورفض الاستسلام لانه لايريد خيانة قضية بلاده والان يريد العودة إلى بنغازي.[47]

فبعد انفكاكه من الجيش العربي في 5مارس عام 1919م قرر الكويري الرجوع إلى القاهرة التي وصلها في ابريل في نفس العام [48].وفي 31 مارس عام 1919م طلب الكويري من الحكومة

البريطانية في القاهرة التوسط لدى الحكومة الإيطالية للعفو عنه واسترجاع ممتلاكاتة والسماح له بالعودة الي بنغازي بلاد الشام[49].وقد أرسلت الإقامة البريطانية بالقاهرة في منتصف أبريل مضبطة حول نشاط الكويري الي الحكومة الإيطالية لتعفو عنه حتى يتمكن من العودة إلى بنغازي وأرسلت الوكالة الدبلوماسية الإيطالية بالقاهرة الي وزارة المستعمرات في روما مرفقة بالمضبطة مقدمة من الكويري يطلب فيها العفو عنه وأكدت الوكالة في 24ابريل عام 1919م بأن الكويري يرغب في الخلود الي حياة عادية خاصة في ليبيا واعتزال الحياة العامة.[50]

وعبرت القيادة الإيطالية في طرابلس في رسالة إلى وزارة المستعمرات في 7مايو أن لامانع من حيث المبدأ في عودة الكويري الي بنغازي خاصة بعد إلحاح السلطات البريطانية بشأن ذلك لان إقامته محسوبه على الميزانية البريطانية .[51]

وقد أكدت الإقامة الإيطالية في 14يونيو رفض الكويري تعيين من قبل الفرنسيين بالقاهرة لانه يريد العودة إلى بلاده ومع ذلك فقد صرحت وزارة المستعمرات الإيطالية أن الكويري حكم عليه بتهمة أرتكاب أعمال معادية ضد القوات الإيطالية ولايمكن السماح بهذه السهولة له بالعودة الي بنغازي وأن القضية مازالت قيد الدراسة من الناحية القانونية.[52]

وفي26سبتمبر أكدت الإدارة العامة بوزارة المستعمرات بانه لم تعد هناك حاجة إلى المضي في إجراءات استصدار العفو الملكي حيث انه بعد صدور مرسوم العفو المؤرخ في 21 سبتمبر والذي يشمل جميع الجرائم السياسية التي ارتكبت في برقة يعتبر الكويري متمعا بالعفو لانه حكمه كان غيابيا.[53]

وفي 16 ديسمبر وصل حسين نوري الكويري الي بنغازي قادما من مصر وقداستقبل بمظاهر الاحترام الكبير من قبل السكان والأعيان حسب ما أكدت عليه القائم بأعمال الحكومة الإيطالية بنغازي وأنه صرح بعدم طلب مساعدة الحكومة وإنما يرغب في العمل من أجل مستقبل بلاده [54].وبرغم من صدور العفو فقد ظل موضوع استرجاع الأملاك المصادرة قيد الدراسة ولم تتم تسوية ولم يتحصل الكويري على أي شيء من هذة الأملاك [55]. كما تراجعت أيضا بريطانيا عن وعودها رغم مساهمة أغلب الشعوب العربية في الثورة العربية الكبرى من أجل تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية وقد اتضحت السياسية البريطانية في اتفاقية سيكس بيكو ووعد بلفور فيما بعد.[56]

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

كان العامل الاقتصادي المتمثل في الدعم العثماني الألماني مهم في تغيير سياسة "أحمد الشريف" تجاه حرب الإنجليز وكلما زادت الأحوال الاقتصادية سوءً كل ما زاد اعتماد "أحمد الشريف" على الأتراك. وكان من نتائج هزيمة حملة "أحمد الشريف" على البلاد إغلاق الأسوق المصرية في وجه المجاهدين وأهالي برقة، وشحت البضائع وتوقفت الحركة التجارية، وتضرر التجار والأهالي، في ظل توقف الحركة البحرية لموانئ برقة،فضلاً عن توقف حركة الجهاد في برقة فترة طويلة، مما أهدر إمكانيات المجاهدين الاقتصادية . وأثرت تلك الهزيمة في العلاقات الروحية التي كانت تربط "أحمد الشريف" بالقبائل المصرية إذ اهتزت وتزعزعت لأن الجيش الإنجليز كان يضم عدد من أبناء تلك القبائل في صفوفه. وقد أدى ذلك إلى انقطاع التبرعات المالية التي كانت تقدمها تلك القبائل لصالح القضية الليبية. ونتيجة للأوضاع الاقتصادية المتردية؛ دب الخلاف بين القوات العثمانية والقوات السنوسية في برقة، وذلك عندما أصبحت المفاوضات مع الإنجليز

ضرورة حيوية للسنوسيين. كما أصبح عدم التطرف والاكتفاء بالحل الوسط هدفاً تحتمه الظروف الاقتصادية القائمة حتى تكفل الاستقرار بفتح الطريق مع مصر. وتمَّ تناقص السكان في ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى عن طريقين أساسيين: زيادة الوفيات، والهجرة الخارجية.

وقد طالت تأثيرات الحرب العالمية الأولى لليبيين في المهجر لاسيما زعماء الحركة الوطنية، الذين هاجروا قبل الحرب واضطروا للعودة للوطن مرة أخرى بعد قيام الحرب العالمية الأولى،كماطالت الحرب الجنود والضباط الليبيين المشاركين في الجيش العثماني خاصة الذين قتلو اواسرو بعيد عن وطنهم

الهوامش:

(1) مصطفى على هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1988م، ص163.

(2)مذكرات أنور باشا، ترجمة: عبدالمولي صالح حرير، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1979م، ص32، 33؛ عبدالمولي الحرير، منظمة تشكيلاتي مخصوصة، مجلة البحوث التاريخية، السنة الأولى، العدد الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس، 1979م، ص25، 26.

(3) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف معارك الجهاد رقم 47 وثيقة رقم 13، رسالة أحمد الشريف الى إدريس السنوسي في 21 ديسمبر 1916م.

(4) عاشور ونيس سليمان، الأهمية العسكرية الاستراتيجية لطبرق فيما بين 1911-1943م وأثر ذلك عليها، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، 2001م، ص66.

(5) هنري انيس مخائيل، العلاقات الانجليزية الليبية، الهيئة العامة للنشر، القاهرة، 1970م، ص42.

(6) محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، دار الفكر العربي، 1948م، ص186-195.

(7) الحسيني الحسيني، الملك محمد إدريس السنوسي، حياته وعصره، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ص 107.

(8) مصطفى علي هويدي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا، ص97، 98.

(9) برنية فتح الله عمران، الوضع الدولي في ليبيا عام 1917م وتأثيراته على عالم ما بعد الحرب، مجلة الشهيد، العددان 24 و25، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 2003، 2004م ص126.

(10) بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية 1969م، ترجمة: عماد حاتم، منشورات مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية طرابلس ط2، 2005م، ص140.

(11) محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص185-195.

(12) برنية فتح الله عمران، المرجع السابق، ص126، 127 ؛ محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص195.

(13) محمد فؤاد شكري، المرجع نفسه، ص190-196.

(14) إبراهيم السنوسي أمنينه، مراحل من المؤامرة الكبرى ضد ليبيا(1914– 1923)، بحث منشور على الموقع التالي: http://herodot17.blogspot.com/2012/08/1914-1923_13.html

(15) محمد يوسف المقريف، ليبيا بين الماضي والحاضر، ج1، مركز الدراسات الليبية ، لندن، بريطانيا، 2004م، ص133.

(16) هنري انيس مخائيل ، المرجع السابق، ص47.

(17) إبراهيم السنوسي أمنينه، مراحل من المؤامرة الكبرى ضد ليبيا(1914– 1923)، بحث منشور على الموقع التالي: http://herodot17.blogspot.com/2012/08/1914-1923_13.html

(18)موسوعة روايات الجهاد، ج13، تحرير: مصطفى سعد الهاين، طرابلس – ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1989م، ص88.

(19) رفيق محمد الدياسطي، الهجرة الخارجية الوافدة وأثرها على سكان مدينة أوباري، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، مطابع المجموعة الدولية، الكويت، الطبعة الأولى، 2007 م، ص11.

(20) أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، طرابلس/ تونس، الدار العربية للكتاب، الطبعة الأولى،1979 م، ص23.

(21) الناجح محمد الأخضر، مصادر الإمداد والتموين، ص244.

(22) الهادي أبو لقمة، دراسات ليبية، بنغازي، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975 م، ص 16؛ خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الأولى،1972 م، ص 88

(23) المنفيون المبعدون عن أرض الوطن من جراء الغزو الاستعماري الايطالي، قوائم أولية بشعبة الوثائق والمخطوطات، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1987م، ص1، 2؛ المنفيون الليبيون الى سجون الجزر الايطالية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 1989م، ص164.

(24) الناجح محمد الأخضر، مصادر الإمداد والتموين، ص227.

(25) المرجع نفسه، ص230.

(26) المرجع نفسه، ص227.

(27) جان ديبو، الاستعمار الايطالي في ليبيا، طرقه ومشاكله، ترجمة: هاشم حيدر، بنغازي، ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968م، ص66، 67.

(28) الناجح محمد الأخضر، مصادر الإمداد والتموين، ص222.

(29) محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص 85.

(30) المرجع نفسه، ص85.

(31) عقيل البربار، المرجع السابق، ص 17.

(32) الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الليبيين في ديار الهجرة من سنة 1343هـ الى 1373هـ/1924-1953م، طرابلس، ليبيا، دار الفرجاني، 1976م، ص13.

(33) حسن علي خشيم، صفحات من جهدنا الوطني، ط2، 1974م، ص127.

(34) محمود الشنيطي، قضية ليبيا، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية، 1951م، ص138.

(35) مصطفى حامد ارحومة، التضامن العربي الإسلامي مع المقاومة الليبية ضد الغزو 1911-1931 م، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة محمد الخامس، - الإيطالي لليبيا 1911م المغرب، 1998 م. ص522.

(36) طاهر الزاوي، جهاد الابطال في طرابلس الغرب، ط2، دار المعارف مصر، 1963م، ص129.

(37)الناجح محمد الأخضر، المرجع السابق، ص96.

(38) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، سلسلة الوثائق الإيطالية المترجمة، المجموعة السادسة والعشرون، الشخصيات، ت،خالد زكي ثابت، أعداد وترتيب خليفة محمد الدويبي ،ط1 طرابلس 2001م،وثيقة رقم 3 مؤرخة في 31مارس عام1919م ص،202

(39) المصدر السابق، وثيقة رقم 4 مؤرخة في 12ابريل عام 1919م ص 205

(40)المصدر السابق، وثيقة رقم 11 مؤرخة في 7مايو1919م ص223.

(41) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس، وثيقة رقم 3مصدر سابق

(42) نفس المصدر ونفس الوثيقة

(43) المصدر السابق،وثيقة2مؤرخة في 14مارس 1919م ص194

(44) جورج انطونيوس، يقظة العرب، ت،ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط4 ،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1974م ص،194.

(45) المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية طرابلس وثيقة رقم 3 مصدر سابق

(46) المصدر السابق وثيقة2،4 مصدرسابق.

(47) المصدر السابق، وثيقة رقم 2،مصدر سابق

(48) المصدرالسابق، وثيقة رقم 5 مؤرخة في 13ابريل 1919م ص209،وثيقة رقم 2مصدر سابق

(49) المصدر السابق وثيقة رقم 6 مؤرخة في 15ابريل1919م ص212،

(50) اللمصدرالسابق، وثيقة رقم 9 مؤرخةفي 24ابريل1919م ص 219 .

(51) المصدر السابق، وثيقة رقم 11مصدرسابق، وثيقة رقم 14مؤرخة في 26مايو 1919م ،ص233

(52) المصدر السابق، وثيقة رقم 19مؤرخة في 14يونيو 1919م ص243 ،وثيقة رقم 21 مؤرخة في 28 يونيو 1919م ص247

(53) المصدر السابق، وثيقة رقم، 30، مؤرخة في 16ديسمبر 1919م ص 274

(54) المصدر السابق، وثيقة رقم، 32،مؤرخة في 14يناير1920م ص 279

(55) طاهر جاسم محمد، دور الميرغني في الاعداد للثورة العربية الكبرى، مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، من منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 1997م ص 78،79

(56) المصدر السابق وثيقة رقم 6 مؤرخة في 15ابريل1919م ص212،